

• الرابعة عشر: «مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ - تَعَالَى - أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ، يُسْمِعُهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ. سَمِعَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَسَمِعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ أذنَ لَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ.

وَأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكَلِّمُونَهُ، وَيَأْذَنُ لَهُمْ فَيُزَوِّوْنَهُ، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَالِمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿مِنْهُمْ مَن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ يَمُوسَىٰ « إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ [طه: ١١-١٢]، وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَقُولَ هَذَا أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ»، رُويَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (١).

(١) تقدم تخريجه.

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةَ حُفَاةَ غُرْلًا مَبْهَمًا، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَهُ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَّبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ»^(١)، رَوَاهُ الْأَيْمَةُ، وَاسْتَشْهَدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةَ رَأَى النَّارَ فَهَالَتَهُ، فَفَزِعَ مِنْهَا، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا مُوسَى! فَأَجَابَ سَرِيعًا؛ اسْتِنَسَا بِالصَّوْتِ، فَقَالَ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، أَسْمَعُ صَوْتَكَ وَلَا أَرَى مَكَانَكَ، فَأَيْنَ أَنْتَ؟! فَقَالَ: أَنَا فَوْقَكَ، وَأَمَامَكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، فَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَا تَبْغِي إِلَّا لِلَّهِ - تَعَالَى - . قَالَ: كَذَلِكَ أَنْتَ، يَا إِلَهِي! أَفَكَلَامَكَ أَسْمَعُ أَمْ كَلَامَ رَسُولِكَ؟ قَالَ: بَلْ كَلَامِي، يَا مُوسَى.

هذه الصفة الرابعة عشر، وهي صفة الكلام، واستطرد فيها المؤلف رَحْمَهُ اللَّهُ، وذكر في تقريرها ست آيات، وحديثين، وأثرًا إسرائيليًا.

والكلام عليها في مبشرين:

المبحث الأول: عقيدة أهل السنة والجماعة في صفة الكلام:

أهل السنة يثبتون الكلام، والقول، والحديث، والنداء، والصوت، والحرف. بمعنى أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يتكلم، ويقول، ويتحدث، وينادي، وَأَنَّ كَلَامَهُ بصوت وحرف.

(١) تقدم تخريجه.

وكلام الله صفة ذاتية فعلية: ذاتية باعتبار أصلها، وفعلية باعتبار آحادها. وبعضهم يعبر عن هذا المعنى بقوله: كلام الله قديم النوع، حادث الآحاد. ومعنى قديم النوع: أن الله لم يزل ولا يزال متكلما، ليس الكلام حادثا منه بعد أن لم يكن. ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه، أي الكلام المعين المخصوص حادث؛ لأنه متعلق بمشيئته، متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء.

المبحث الثاني: الأدلة على صفة الكلام:

هذه الصفة ثابتة لله جَلَّ جَلَالُهُ بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

فمن أدلة الكتاب:

- ١ - قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].
- ٢ - وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وهذا كلام مكتوب، فكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُكْتَب.
- ٣ - وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وهذا كلام مسموع، فكلام الله - عز وجل - يُسْمَع.
- ٤ - وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ يَمُوسَى «إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١١-١٢]، وهذا نداء بصوت مسموع.

٥ - وقال - سبحانه - : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

والأدلة من السنة كثيرة، منها:

- ١ - ما ذكره المؤلف عن عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاءَ حُفَاةٍ غُرْلًا بَيْنَهُمَا، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَّبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ-»^(١).

(١) تقدم تخرجه.

٢- ما ذكره المؤلف - بمعناه - عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلَ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلَصلةً كَجَرِّ السُّلْسِلةِ عَلَى الصِّفَا، فَيُضَعِّقُونَ...»^(١).

وعلقه البخاري موقوفا بصيغة الجزم، ومثله لا يقال من قبيل الرأي.

٣- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعا: «يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرَجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ...»^(٢).

وقوله: «وَأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكَلِّمُونَهُ»، يشهد له حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟...»^(٣).

وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧٤١) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٢٢٢).

(٣) تقدم تخريجه.

الزباد



المقطع الرابع

قال الشيخ رحمه الله:

«فصل:

وَمِنْ كَلَامِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ الْمُبِينُ، وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، وَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، مُنَزَّلٌ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

وَهُوَ سُورٌ مُحْكَمَاتٌ، وَأَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ، وَحُرُوفٌ وَكَلِمَاتٌ، مَنْ قَرَأَهُ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرٌ حَسَنَاتٍ، لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ، وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ، مَتَلُوْا بِالْأَلْسِنَةِ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالْأَذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ، فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وَهَذَا هُوَ الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي قَالَ فِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ [سبأ: ٣١]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾

[المدر: ٢٥]، فَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدر: ٢٦]، وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ شِعْرٌ، فَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]، فَلَمَّا نَفَى اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ شِعْرٌ، وَأَثْبَتَهُ قُرْءَانًا = لَمْ يُبْقِ شُبْهَةً لِدِي لُبِّ فِي أَنَّ الْقُرْءَانَ هُوَ هَذَا الْكِتَابُ الْعَرَبِيُّ الَّذِي هُوَ حُرُوفٌ، وَكَلِمَاتٌ، وَآيَاتٌ؛ لِأَنَّ مَا لَيْسَ كَذَلِكَ لَا يَقُولُ أَحَدٌ إِنَّهُ شِعْرٌ.

وَقَالَ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَا لَا يُدْرَى مَا هُوَ وَلَا يُعْقَلُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ أَفَلَا يَكُونُونَ لِي أَن أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَائِي نَفْسِي﴾ [يونس: ١٥]، فَأُثْبِتَ أَنَّ الْقُرْءَانَ هُوَ الْآيَاتُ الَّتِي تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]، بَعْدَ أَنْ أَقْسَمَ عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَهَيْعِصَ﴾ [مريم: ١]، ﴿حَمَّ ١ عَسَقَ﴾ [الشورى: ١-٢]، وَافْتَتَحَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سُورَةً بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ،
وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحْنٌ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ»^(١)، حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ
إِقَامَةَ السَّهْمِ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَتَعَجَّلُونَ أَجْرَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ»^(٢).

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِعْرَابُ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ بَعْضِ
حُرُوفِهِ^(٣).

وَقَالَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلاًَّ^(٤).

وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَدِّ سُورِ الْقُرْآنِ وَأَيَاتِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهِ.

وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَوْ آيَةً أَوْ كَلِمَةً أَوْ
حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ، وَفِي هَذَا حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى أَنَّهُ حُرُوفٌ.

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٥٧٤) بنحوه، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة»

(٦٥٨٥)، وقال: لا أصل له بهذا اللفظ مطلقاً في شيء من طرقه التي وقفنا عليها.

(٢) حسن صحيح: أخرجه أبو داود (٨٣١)، وأحمد (٢٢٨٦٥)، وابن حبان (٧٦٠)، وقال

الألباني: حسن صحيح.

(٣) أخرجه ابن الأنباري في «الإيضاح»، كما في «كنز العمال» (٢ / ٣٣٦ / ٤١٧٦).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠١٠٩).

الشرح:

هذا المقطع في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم، وهو من كلام الله - تعالى - .

والكلام على هذا المقطع في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم:

عقيدتهم: أن القرآن الكريم كلامُ الله - تعالى -، منزلٌ غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، فهو كلام الله حروفه ومعانيه.

والدليل على أنه كلام الله: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، يعني: القرآن.

والدليل على أنه منزل: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، وغيرها من الآيات.

والدليل على أنه غير مخلوق: قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فجعل الأمر غير الخلق.

والقرآن من الأمر؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا﴾ [الطلاق: ٥].

وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: ١-٣]، فنسب العلم إلى القرآن، والخلق إلى الإنسان، فالقرآن من علم الله - تعالى -، وعلم الله ليس بمخلوق، ولأن كلام الله صفة من صفاته، وصفاته غير مخلوقة.

والدليل على أنه منه بدأ: أن الله أضافه إليه، ولا يُضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئاً.

ومعنى «**مِنْهُ ابْتَدَأَ**»: أن الله هو الذي تكلم به حقيقة، بحرف وصوت ابتداءً، وليس كلاماً لجبريل ولا لغيره من الملائكة.

والدليل على أنه إليه يعود: عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامَ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَكَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ...»^(١).

• فائدة: القرآن الكريم له ثلاث مراتب:

الأولى: الكتابة في اللوح المحفوظ. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۗ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨].

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، والحاكم (٨٤٦٠)، وصححه الألباني.

الثانية: نزوله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا.

الثالثة: تَكَلَّمَ اللهُ به، ونزول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك على النبي ﷺ مُفَرَّقًا بحسب الحوادث، في ثلاث وعشرين سنة؛ مُدَّة البعثة.

ودليل هذا: ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أُنزِلَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَكَانَ اللهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَحْدِثَ فِي الْأَرْضِ شَيْئًا أَنْزَلَهُ مِنْهُ حَتَّى يَجْمَعَهُ»^(١).

وفي لفظ قال: «فُصِّلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَجَعَلَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيُرْتَلُهُ تَرْتِيْلًا»^(٢).

المبحث الثاني: الدليل على أن القرآن حروف وكلمات:

ذكر المؤلف رَحْمَةً اللهُ لِدَلِكْ ثَمَانِيَةَ أَدْلَةٍ:

الأول: أن الكفار قالوا: إنه شعر، ولا يمكن أن يوصف بذلك إلا ما هو حروف وكلمات.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/١٤٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/٢٤٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وصححه الحافظ في «الفتح» (٤/٩).

الثاني: أن الله تحدّى المكذّبين به أن يأتوا بمثله، ولو لم يكن حروفاً وكلمات لكان التحدي غير مقبول؛ إذ لا يمكن التحدي إلا بشيء معلوم يدرى ما هو.

الثالث: أن الله أخبر بأن القرآن إذا يتلى عليهم، ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ﴾ [يونس: ١٥]، ولا يتلى إلا ما هو حروف وكلمات.

الرابع: أن الله أخبر بأنه محفوظ في صدور أهل العلم، ومكتوب في اللوح المحفوظ، فقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال - عز وجل - : ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ٧٨ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩]، ولا يُحفظ ويُكتَب إلا ما هو حروف وكلمات.

الخامس: قول النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْءَانَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَحِنَ فِيهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ»^(١).

ومعنى إعرابه: أن يقرأه قراءة صحيحة، ليس فيها لحن.

(١) تقدم تخريجه.

والمشهور حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الْم﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(١).

السادس: قول أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه»^(٢).

السابع: قول علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «من كفر بحرف منه فقد كفر به كله»^(٣).

الثامن: إجماع المسلمين - كما نقله المؤلف - على أن مَنْ جَحَدَ مِنْهُ سُورَةٌ أَوْ آيَةٌ، أَوْ كَلِمَةٌ، أَوْ حَرْفًا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ، فَهُوَ كَافِرٌ.

وعدّد سور القرآن أربع عشرة ومئة سورة، منها تسع وعشرون افتتحت بالحروف المقطعة.

وقوله: «لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ وَأَجْزَاءٌ وَأَبْعَاضٌ، مَتَلَوُّ بِالْأَلْسِنَةِ، مَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، مَسْمُوعٌ بِالْأَذَانِ، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ»، هذا فيه رد على مذهب الأشاعرة الذين يقولون: الكلام هو المعنى القائم بالنفس - ويُعبّرون عنه بـ«الكلام النفسي» - وهو

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٩١٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢٦٣/٦)، وصححه الألباني.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

الكلام الحقيقي، والألفاظ موضوعة للدلالة عليه. فقالوا: الكلام ليس بحروف ولا أصوات، والمتكلم من قام به الكلام، لا من أوجد الكلام. واستشهدوا بقول الأخطل:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

وهذا من المباحث المتقدمة التي لا تناسب هذا المختصر.

المبحث الثالث: أوصاف القرآن:

وصف الله القرآن الكريم بأوصاف عظيمة كثيرة، ذكر المؤلف منها ما يلي:

أولاً: أنه كتاب الله المبين، أي: المفصّح عما تضمّنه من أحكام وأخبار.

ثانياً: أنه حبل الله المتين، أي: العهد القوي الذي جعله الله سبباً للوصول إليه، والفوز بكرامته.

ثالثاً: أنه سور محكمات أي: مُفصّلُ السور، كل سورة منفردة عن الأخرى، والمحكمات المتقنات المحفوظات من الخلل والتناقض.

رابعاً: أنه آيات بينات، أي علامات ظاهرات على توحيد الله، وكمال صفاته، وحسن تشريعاته.

خامساً: أن فيه محكما ومتشابهها، فالمحكم: ما كان معناه واضحاً، والمتشابه: ما كان معناه خفياً. ولا يعارض هذا ما سبق من وصف القرآن بالإحكام؛ لأن الإحكام هناك بمعنى الإتقان والحفظ من الخلل والتناقض، وهنا بمعنى وضوح المعنى، وإذا ردّدنا المتشابه هنا إلى المحكم صار الجميع مُحكّماً.

سادساً: أنه حقٌّ لا يمكن أن يأتيه الباطل من أي جهة، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

سابعاً: أنه بريء مما وصفه به المكذبون من قولهم إنه شعر، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]،

وهو - أيضا - بريء من قول بعضهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾
[المدثر: ٢٥]، فقال الله - سبحانه - : ﴿سَأُصَلِّيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦].

ثامنا: أنه معجزة لا يمكن لأحد أن يأتي بمثلها، وإن عاونه غيره، قال تعالى:
﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ
بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

والقرآن له أسماء وأوصاف سبق الكلام عليها في شرح كتاب «أصول في التفسير».



المقطع الخامس

قال الشيخ رحمه الله:

«فَصَلُّ:

وَالْمُؤْمِنُونَ يَرُونَ رَبَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِأَبْصَارِهِمْ، وَيُزُورُونَهُ، وَيُكَلِّمُهُمْ وَيُكَلِّمُونَهُ،
قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]،
فَلَمَّا حَجَبَ أَوْلِيَاءَكَ فِي حَالِ السُّخْطِ، دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ فِي حَالِ الرِّضَا،
وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُونَ فِي
رُؤْيَيْهِ»، حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٥٤) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٦٣٣)، من حديث
جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

وَهَذَا تَشْبِيهٌُ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَا لِلْمَرْئِيِّ بِالْمَرْئِيِّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَا شَيْبَةَ لَهُ
وَلَا نَظِيرَ».

الشرح:

رؤية الله في الآخرة ثابتة بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

فمن أدلة الكتاب: قول الله - تعالى -: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا
نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]،
فَلَمَّا حَجَبَ الْفُجَّارَ عَنْ رُؤْيَتِهِ دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الْأَبْرَارَ يَرَوْنَهُ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ.
وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد
فُسِّرَتْ ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ بالجنة، و﴿زِيَادَةٌ﴾ بالنظر إلى وجه الله الكريم، كما في
الحديث الذي رواه مسلم^(١).

ومن السنة: قول النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا
تَضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»^(٢). وعَدَّ هَذَا مِنَ الْمَتَوَاتِرِ.

(١) ينظر: صحيح مسلم (١٨١).

(٢) تقدم تخريجه.

وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي؛ لأن الله ليس كمثل شيء، ولا شبيه له ولا نظير.

وأجمع السلف على رؤية المؤمنين لله - تعالى - دون الكفار بدليل الآية الثانية. فإنهم يرون الله - تعالى - في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله - تعالى -. وهي رؤية حقيقية تليق بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهي الغاية القصوى في نعيم الآخرة، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة.

وفسرها أهل التعطيل بـ (رؤية ثواب الله، أو رؤية العلم واليقين).

ونردُّ عليهم باعتبار التأويل الأول بما سبق: إن قولهم خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح.

وبوجه رابع، باعتبار التأويل الثاني: أن العلم واليقين حاصل للأبرار في الدنيا، وسيحصل للفجار في الآخرة.

• **تنبيه:** رؤية الله عيانا في الدنيا مستحيلة؛ لقوله تعالى لموسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** - وقد طلب رؤية الله - **﴿لَنْ تَرَانِي﴾** [الأعراف: ١٤٣].

والصحيح أن النبي ﷺ لم ير ربه في ليلة الإسراء والمعراج، كما ثبت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]...»^(١).

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]، قَالَ: «رَأَاهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»^(٣).

وأما في المنام؛ فقد دلت السُّنَّةُ على أن الله - تعالى - يُرى في المنام، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قَالَ: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ: أَحْسَبُهُ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟...»^(٤).
ونقل ذلك عن بعض السلف.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٣٨٠) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٧٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٦).

(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٢٣٣)، وأحمد (٣٤٨٤)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح. سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث، فقال: (هذا حديث حسن صحيح)».

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ أَنَّ رُؤْيَا الْعَبْدِ لِرَبِّهِ فِي الْمَنَامِ هِيَ بِحَسَبِ إِيمَانِهِ، وَيَبِينُ أَنَّ رُؤْيَا الْمَنَامِ لَيْسَتْ كَالرُّؤْيَا فِي الْيَقَظَةِ؛ فَلِلرُّؤْيَا الْمَنَامِيَةِ أَحْكَامٌ، وَلِلرُّؤْيَا فِي الْيَقَظَةِ أَحْكَامٌ^(١).



(١) ينظر: «منهاج السنة النبوية» (٥ / ٣٨٤).